مرتبة ابن لهيعة بين أقوال المعدلين، وأقوال المجرحين

بحث في الجرح والتعديل

د/ عزت روبي
قسم علوم الحديث
كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية
شاه علم - ماليزيا
eztalropy@lms.mediu.edu.my

خلاصة : يتناول هذا البحث شرح و تفصيل مرتبة ابن لهيعة بين أقوال المعدلين، وأقوال المجرحين

كلمات مفتاحية: الجرح - التعديل

I- مقدمة

الحمد لله وحده لا شريك له والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. عبدالله بن لهيعة أحد المحدثين الذين كثر الكلام عليهم، حول قبول روايته، فذهب البعض إلى تضعيفه مطلقا، ووثقه آخرون، وذهبت طائفة إلى التفصيل.

II- المقالة

عبد الله بن لهيعة بن عقبة الحضرمي المصري أبو عبدالرحمان الإمام الكبير، من الرواة المكثرين للحديث - خصوصا حديث المصريين.

ولهيعة لقب، قال الحافظ ابن حجر: يقال في فلان لهيعة أي غبن وخبل، يطلق على من فيه تغفيل، وهذا المعنى للاسم الذي ينتسب إليه انتقل من الاسم إلى الحكم على الشخص، فنسب إليه الغفلة مع أنه كان في غاية اليقظة وفي غاية التثبت، ولم يخرج عن ذلك إلا في أواخر حياته لظروف المرض... ولعله كان مرضا موروثا يظهر في آخر الحياة وعند كبر السن، ولا يظهر عند الصحة والعافية.

ولد سنة ست أو خمس وتسعين، وسبع وقيل ثلاث وتسعين. وجدّ في الطلب منذ صغره، فلقي الكبار بمصر والحرمين.

ومن شيوخه عمرو بن دينار، ويزيد بن أبي حبيب، وعكرمة مولى ابن عباس، وأبو الزبير المكي، وعطاء بن أبي رباح، ومحمد بن المنكدر، وأبو يونس مولى أبي هريرة ، وغيرهم.

ومن تلاميذه أسد بن موسى، وأشهب بن عبدالعزيز، وسعيد بن شرحبيل، وسعيد ابن أبي مريم، وسفيان الثوري، وشعبة ، وأبو صالح عبدالله بن صالح، وابن المبارك، وعبدالله ابن مسلمة القعنبي، وعبدالله بن وهب، وعبدالله بن يزيد المقرئ، والأوزاعي، والليث بن سعد، وغيرهم كثير. قال الذهبي: آخر من سمع منه قتيبة بن سعيد ، وقال روح ابن صالح: لقي بن لهيعة اثنين وسبعين تابعيا.

ولاه أبو جعفر المنصور قضاء مصر في سنة خمس وخمسين ومائة، إلى أن صرف عنه سنة أربع وستين ومائة. قال الكندي: ومما عرف به في ولاية القضاء أنه أول من طلب هلال رمضان - أي الاطلاع عليه - في ليلة أول يوم من رمضان، فكان يخرج في نفر من أهل المسجد عرفوا بالصلاح، يطلبون الهلال.

ورمي بالتشيع، قال الذهبي: لم يعرف بالغلو في التشيع.

وقال عنه الليث: ما خلف بعده مثله. وقال أبو حاتم: سألت أبا الأسود النضر، كان ابن لهيعة يقرأ ما يدفع إليه؟ قال: كنا نرى أنه لم يفته من حديث مصر كثير شيء.

وقد ساء حاله، واختل ضبطه، فرويت عنه مناكير كثيرة، فقيل: إن السبب هو تغيره في آخر حاله، وقيل: إنه لم يكن بالضابط أصلا.

ثم اختلف في أسباب تغيره، قال عثمان بن صالح: لا أعلم أحدا أخبر بسبب علة ابن لهيعة مني، أقبلت أنا وعثمان بن عتيق بعد انصرافنا من الصلاة يوم الجمعة، فوافينا ابن لهيعة أمامنا راكبا على حمار يريد منزله، فأفلج وسقط عن حماره - أي أصابه الفالج، وهو مرض مؤثر - فبدرني ابن عتيق إليه، فأجلسه وصرنا به إلى منزله.

وقيل كان ذلك بسبب احتراق كتبه، قال إسحاق بن عيسى: احترقت كتب ابن لهيعة سنة تسع وستين، ولقيته سنة أربع وستين، ومات سنة أربع وسبعين، أو ثلاث وسبعين ومائة. ولكنه قال في موضع آخر: ما احترقت أصوله، إنما احترق بعض ما كان يقرأ منه، ويريد ما نسخ منها.

وقال ابن أبي مريم: لم تحترق كتب ابن لهيعة، ولا كتاب، إنما أرادوا أن يقفوا عليه أميرا، فأرسل إليه أمير بخمسمائة دينار.

وقال يحيى بن عثمان بن صالح السهمي: سألت أبي: متى احترقت دار ابن لهيعة؟ قال: في سنة سبعين ومائة ، قلت: واحترقت كتبه كما تزعم العامة؟ فقال: معاذ الله، ما كتبت كتاب عمارة بن غزية إلا من أصل كتاب ابن لهيعة بعد احتراق داره، غير أن بعض ما كان يقرأ منه احترق، وبقيت أصوله بحالها،

وقال يحيى بن معين: أنكر أهل مصر احتراق كتب ابن لهيعة، والسماع منه واحد، القديم والحديث. وقال: هو ضعيف قبل أن تحترق وبعدما احترقت.

وقال الذهبي: الظاهر أنه لم يحترق إلا بعض أصوله.

فلعل الضعف لم يلحق ابن لهيعة بسبب احتراق كتبه، وإنما العلة التي أصابته هي السبب فيما يتعلق بتغيره، مع بعض التساهل الذي عرف به، خصوصا فيما يتعلق بالتدليس، فاختلفت أقوال أئمة النقد حوله، ما بين معدل ومجرح ، فممن أنصفه، وأعطاه حقه إيجابا وسلبا: الإمام أحمد بن حنبل، وأحمد بن صالح بسبب المصري. وممن أثنى عليه وتغاضى عما وقع منه، الإمام مالك، والليث، والثوري.

قال عنه سفيان الثوري: عند ابن لهيعة الأصول وعندنا الفروع، وقال: حججت حججا لألقى ابن لهيعة، وكذلك كان شعبة مهتما بحديثه.

وقال عبدالرحمان بن مهدي: وددت أني سمعت من ابن لهيعة خمسمائة حديث، وأني غرمت مودى ، كأنه يعني دية.

وقال نعيم بن حماد: ما أعتد بشيء سمعته من حديث ابن لهيعة، إلا سماع بن المبارك، ونحوه.

وقال محمد بن المثنى: ما سمعت عبدالرحمان بن مهدي يحدث عن ابن لهيعة شيئا قط، فترك عبدالرحمان الرواية عنه.

وقال أحمد بن حنبل: من كان مثل ابن لهيعة بمصر في كثرة حديثه، وضبطه، وإتقانه، قال أبوداود: حدث عنه أحمد بحديث كثير.

وقال: ما كان محدث مصر إلا ابن لهيعة، وقال أيضا: ابن لهيعة أجود قراءة لكتبه من ابن وهب.

وقال: ما حديث ابن لهيعة بحجة، وإني لأكتب كثيرا مما أكتب ، أعتبر به.

وقال: من كتب عن ابن لهيعة قديما فسماعه صحيح، قال الإمام الذهبي: لأنه يكن بعد تساهل، وكان أمره مضبوطا، فأفسد نفسه.

وسئل ابن وهب عن حديث حدثه، قيل له من حدثك بك، فقال: حدثني - والله - الصادق البار، عبدالله بن لهيعة. وقال: كان ابن وهب صادقا.

وقال أحمد بن صالح المصري: ابن لهيعة صحيح الكتاب، كان أخرج كتبه فأملى على الناس حتى كتبوا حديثه إملاء، فمن ضبط كان حديثه حسنا صحيحا.

وقال الفسوي: كان ابن لهيعة طلابا للعلم، صحيح الكتاب، وقال: وظننت أن الأسود كتب من كتاب صحيح، أي: لابن لهيعة، فحديثه صحيح يشبه حديث أهل العلم.

وقال أبو حفص الفلاس: من كتب عن ابن لهيعة قبل احتراق كتبه، فهو أصح كابن المبارك، والمقرئ، وهو أي ابن لهيعة ضعيف الحديث.

وممن اشتد عليه في النقد: ابن حبان والجوزجاني، وابن معين في بعض أحكامه.

و نقل البخاري عن الحميدي أن يحيى بن سعيد القطان كان لا يرى ابن لهيعة شيئا.

وقال ابن معين: ابن لهيعة أمثل من رشدين بن سعد، وقد كتبت حديث ابن لهيعة، وكان شيخ صدق، وكان ابن أبي مريم سيء الرأي في ابن لهيعة.

وقال إبراهيم بن الجنيد ليحيى: فسماع القدماء، والآخرين منه سواء؟ قال: نعم، سماع واحد. وقال أيضا: ابن لهيعة لا يحتج به. وقال مرة: ضعيف.

وقال الجوزجاني: لا نور على حديثه، ولا ينبغي أن يحتج به، ولا أن يعتد به.

وقال النسائي: ليس بثقة.

وقال ابن سعد: ابن لهيعة كان ضعيفا، وعنده حديث كثير، ومن سمع منه في أول أمره أحسن حالا، وأما أهل مصر فيذكرون أنه لم يختلط، لكنه كان يقرأ عليه ما ليس من حديثه، فيسكت عليه، فقيل له في ذلك فقال: وما ذنبي، إنهم يجيئون بكتاب يقرؤونه، ويقومون، ولو سألوني لأخبرتهم أنه ليس من حديثي.

وقال الإمام مسلم: ابن لهيعة تركه وكيع ويحيى وابن مهدي.

وقال أبو زرعة الرازي: لا يحتج به، قيل: فسماع القدماء؟ قال: أوله وآخره سواء إلا أن ابن وهب وابن المبارك كانا يتتبعان أصوله يكتبان منها.

وقال هو وأبو حاتم: أمره مضطرب، يكتب حديثه للاعتبار.

وقال ابن عدي ـ بعد أن درس عدة أحاديث له تفصيلا، ونقل أقوال العلماء: له من الروايات والحديث أضعاف ما ذكرت، وحديثه أحاديث حسان، وما قد ضعفه السلف، وهو حسن الحديث يكتب حديثه، وقد حدث عنه الثقات: الثوري وشعبة ومالك وعمرو ابن الحارث والليث بن سعد.

وقال أبوعبدالله الحاكم: استشهد به مسلم في حديثين، وقال أيضا: لم يقصد الكذب وإنما حدث من حفظه بعد احتراق كتبه فأخطأ.

وقال ابن خراش: احترقت كتبه، فكل من جاء بشيء قرأه عليه، حتى لو وضع أحد حديثا وجاء به إليه قرأ عليه.

أما ابن حبان فقد أورده في كتابه المجروحين، وفصل الكلام فيه ، وكلامه يدل على دراسة متمعنة، قال: كان ابن لهيعة من الكتابين للحديث والجماعين للعلم والرحالين فيه.

وقال: كان شيخا صالحا، ولكنه كان يدلس عن الضعفاء قبل احتراق كتبه، ثم احترقت كتبه سنة سبعين ومئة ، قبل موته بأربع سنوات.

وقال: سبرت أخبار ابن لهيعة من رواية المتقدمين والمتأخرين عنه، فرأيت التخليط في رواية المتأخرين عنه موجودا وما لا أصل له من رواية المتقدمين كثيرا، فرجعت إلى الاعتبار، فرأيته كان يدلس عن أقوام ضعفى على أقوام رآهم ابن لهيعة ثقات، فألزق تلك الموضوعات به.

وقال: وكان أصحابنا يقولون: سماع من سمع منه قبل احتراق كتبه مثل العبادلة عبدالله بن وهب وعبد الله بن المبارك وعبد الله بن يزيد المقرئ وعبدالله بن مسلمة القعنبي فسماعهم صحيح، ومن سمع بعد احتراق كتبه فسماعه ليس بشيء.

وقال: وأما رواية المتأخرين عنه بعد احتراق كتبه ففيه مناكير كثيرة، وذلك أنه كان لا يبالي ما دفع إليه قرأه، سواء كان ذلك من حديثه أو من غير حديث، ووجب التنكب عن رواية المتقدمين عنه قبل احتراق كتبه لما فيها من الأخبار المدلسة عن الضعفاء والمتروكين، ووجب ترك الاحتجاج برواية المتأخرين عنه بعد احتراق كتبه، لما فيها مما ليس من حديثه.

فخلص ابن حبان إلى أنه يتقى مما حدث به قديما ما وقع فيه تدليس ـ أي ما ورد بصيغة "عن" ـ وأما رواية المتأخرين عنه فإنها لا تقبل، لأنه لم يكن يرجع إلى أصوله مع عدم ضبطه، فكان يعتمد على ما يقرأ عليه، فدخل في حديثه ما ليس منه.

وخلاصة القول فيه أن من أخذ عنه قديما وكان من الضابطين المعتمدين، كابن المبارك، وعبد الله بن يزيد المقرئ، وعبدالله بن وهب، ولم يدلس تدليس التسوية، ثم راجع ما تحمله على أصول ابن لهيعة المعتمدة، فحديثه صحيح، وأما من أخذ عنه من المتأخرين بعد ما اختل ضبطه، وساء حفظه، فحديثه غير معتبر عند أهل العلم، والله تعالى أعلم.

أما مسألة التدليس: فأول من وصفه به هو ابن حبان، ولم يرد هذا الوصف عن غيره، وأقره من المتأخرين الحافظ ابن حجر في كتابه "تعريف أهل التقديس"، فأورده في المرتبة الخامسة من طبقات المدلسين، والتي يرد حديث أصحاب هذه المرتبة ولو صرحوا بالسماع لضعفهم بأمر آخر سوى التدليس، لكن ابن حجر استثنى ابن لهيعة من الحكم المطلق لهذه المرتبة حيث قال: الخامسة: من ضعف بأمر آخر سوى التدليس فحديثهم مردود ولو صرحوا بالسماع إلا أن يوثق من كان ضعفه يسيرا كابن لهيعة، والله تعالى أعلم.

اخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المراجع المصادر:

ابن حبان، المجروحين، (٥٠٤/١ إلى ٥٠٧).
ابن حجر، تهذيب التهذيب، (٤١١/٢ إلى ٤١٣).
الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١١/٨ إلى ٣١).